

الحلقة الثالثة والثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ألا تتساءل مستمعي أحياناً عن حقيقة وجود الله وإرساله للأنبياء؟ وإن كانوا هم حقاً قد أرسلوا من قبل الله؟ أو لا تطلب برهاناً واقعياً أو عجيبة ما لكي تحصل أمام عينيك حتى تصدق أن الله موجود، وأن المخلص المسيح قد أتى فعلاً من عند الله؟ وأن رسالته هي حقاً الرسالة الصحيحة؟ هذا ما يتساءل به الكثيرون دائماً. ولم يكن الناس حتى في أيام المخلص المسيح يختلفون عن هذا الوضع. وكان بعض الفريسيين بالرغم من تدينهم اليهودي المتزمت، قد طلبوا من المسيح أن يجري المزيد من الآيات أو المعجزات لكي يصدقوا أنه هو المسيح المنتظر وليؤمنوا به.

لكن المخلص المسيح علم أنهم قد رأوا من المعجزات ما يكفي، ليكون دليلاً أكيداً وبرهاناً قاطعاً لهم أنه هو المسيح. وأنهم رفضوه لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا به. وأنه لو أجرى المزيد من المعجزات لما تغير موقفهم، ولما آمنوا به. و لهذا أجابهم بما لم يكن يتوقعونه إذ قال لهم: «جِيلٌ شَرِيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ. رِجَالٌ نِينَوِي سَيَقُومُونَ فِي الدَّيْنِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لِأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا!» (بشارة متى ١٢: ٣٩-٤١).

لقد أجاب المخلص المسيح أولئك الفريسيين المتزمتين الذين طلبوا آية أو عجيبة أخرى يجريها، أجابهم بأن كشف لهم أولاً حقيقة نفوسهم، إذ اتهمهم أنهم جيل شرير وفاسق. ثم حول انتباههم إلى أعظم آية أو عجيبة ستحصل. فما هي هذه الآية التي قصدها المخلص المسيح؟

مستمعي العزيز، ما هي أعظم العجائب التي أراد المخلص المسيح لفت انتباه الفريسيين المتزمتين إليها؟ لقد أعاد المسيح مستمعيه إلى حادثة حصلت في العهد القديم الذي يعرفونه جيداً، مع النبي يونان المعروف عند العرب بالنبي يونس. فقد دعا الله

يونان للذهاب إلى نينوى عاصمة مملكة آشور في العراق، لكي ينادي لهم بالتوبة والرجوع إلى الله. لكن يونان اليهودي المتعصب رفض الذهاب إلى نينوى لأن أهلها أناس أشرار، وظنّ أنهم لن يقبلوا بشارته. فركب سفينة وأراد الذهاب إلى ترشيش، وهي جزيرة كانت تقع في جنوب اسبانيا. وحصل معه في الطريق ما لم يكن في الحساب، إذ أهاج الله البحر. واعترف يونان للبحارة أن العاصفة كانت بسببه، فقرروا رميه في البحر. وهناك أعدّ الله حوتاً كبيراً لكي يبتلعه. وبقي يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. وبعدها قذفه الحوت إلى الشاطئ بناء على أمر من الله.

وهنا قال المسيح: «هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ». بالطبع لم يفهم الفريسيون في ذلك الوقت ماذا قصد المسيح. فهو كان يشير إلى موته كابن للإنسان ودفنه في قلب الأرض لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم قيامته حياً. تماماً كما حصل مع يونان وخروجه سالماً من بطن الحوت. وهكذا أكدّ المسيح أن النبي يونان ببقائه في جوف الحوت ثلاثة أيام، كان يشير ويرمز إليه هو.

هذه هي الآية أو العجبية العظمى التي أراد المسيح إعلانها لهم. أي عجبية موته الكفاري وقيامته الظافرة من بين الأموات بعد بقاءه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في القبر. هذه العجبية التي تعتبر أم العجائب وأعظمها. وأضاف المسيح قائلاً: إن أهل نينوى تابوا عن شرورهم بعد أن ذهب يونان ودعاهم للتوبة. لكن الجيل الذي عاصر المسيح وعجائبه لم يتب. ولهذا سيقوم أهل نينوى يوم الدينونة ويدينون هذا الجيل الذي لم يتب. أي أن أهل نينوى الوثنيين كانوا أفضل بكثير من هذا الجيل اليهودي الذي رفض المسيح.

صديقي المستمع، لقد أراد المسيح القول لهؤلاء الفريسيين واليهود في زمانه: أنه إذا كان أهل نينوى الوثنيين الأشرار قد تابوا بمناداة يونان، فما هي دينونتكم أنتم الذين تدعون التدين، لكنكم ترفضون الإيمان بي أنا المسيح؟ لا سيّما أنني أعظم من يونان بكثير، ولهذا قال لهم: «وَهُؤُودًا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا!». أجل، إن المسيح هو أعظم من يونان ومن كل الأنبياء فهو كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي وُلد من روح الله القدوس. وليس هذا فحسب بل قام بأعظم عجبية يشهدها العالم على مدى تاريخه، ألا وهي عجبية موته الكفاري على الصليب وقيامته الظافرة من بين الأموات. وكان هدف هذه العجبية هي التكفير عن خطايا الجنس البشري بأكمله، وتحرير كل من يؤمن من عبودية الخطيئة وإبليس الشيطان، والموت العدو اللدود. وثم جعله من أولاد الله المبررين، وأيضاً وهبه الحياة الأبدية. فهل هناك أعظم من عجبية قيامة المسيح من بين الأموات بعد موته ودفنه لثلاثة أيام؟

وأنت مستمعي، هل ما زلت تطلب عجيبة تحصل أمام عينيك لكي تؤمن بالمخلص المسيح؟ إن حقيقة موت وقيامه المسيح هي حقيقة أكيدة، على عكس ما يظن البعض ويدّعي. وقد أكدتها كل الأدلة الثابتة والبراهين الواضحة. وشهد عنها تلاميذ المسيح الكثيرون الذين رأوا موته وقيامته. وها هو المسيح نفسه يتنبأ عن موته وقيامته المجيدة في حديثه هذا لأعدائه الذي اقتبسناه قبل قليل. ليؤكد لهم أنه هو المسيح الذي تنبأ عنه الأنبياء، وأشارت إليه كل حوادث العهد القديم. حتى أن بقاء النبي يونان في بطن الحوت لثلاثة أيام وثلاث ليال، كان إشارة واضحة إلى موته ودفنه وقيامته.

هل تريد مستمعي عجيبة أعظم من هذه العجيبة لكي تؤمن بالمخلص المسيح؟ لم لا تأتي الآن تائباً عن ذنوبك ومؤمناً بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات؟ وعندها تنال الغفران الأكيد عن خطاياك، وتصبح من أولاد الله، وتحظى بالخلود في دار النعيم.